الآداب
مجلة تراثية فصلية
تصدرها إدارة
المجلد الرابع والعشرون

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الرابع والثلاثون

العدد الثالث - ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

رئيس مجلس الإدارة
فاروق خضر الدليمي

رئيس التحرير
د. محمد حسين الأعرجي

هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
احمد عبد زيدان

سكرتير التحرير
محمود الظاهر

الهيأة الاستشارية
أ.د. خديجة الحديثي
أ.د. جواد مطر الموسوي
أ.د. فليح كريم الركابي
أ.د. داود سلوم
أ.د. مالك المطلبي
الأستاذ حسن عزيبي

التصحيح اللغوي
سليم سلمان
نجلة محمد
امل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم
جنان عدنان لطيف
ياسر بدر باسم

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: دينارات، الإمارات: ٣٠ درهما، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ٣ دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ درهما

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة - الأعظمية - ص. ب: ٤٠٣٢ بغداد جمهورية العراق
هاتف: ٤٤٣١٠٤٤

المشاركة السنوية

٥٥ دولاراً في الأقطار العربية.

لوحة الغلاف/ رافع الناصري

Email: dar-iraqculture@yahoo.com

المحتوى

الافتتاحية

عبد الإله أحمد تراثيا ..... رئيس التحرير/٣

* بحوث ودراسات

ـ الاحلاف السياسة في مكة ودور

حكومة الملأ فيها ..... د.رياض هاشم النعيمي ٤ـ١٣

ـ أثر الحكايات العربية والاسلامية في كتاب

زديج (أو القدر) لفولتير ..... د. داود سلوم ١٤ـ٣٢

ـ أبو سعيد السجستاني عالم في

الفلك والهندسة ..... أحمد محمد جواد الحكيم ٣٣ـ٣٨

ـ أصالة البحث النفسي عند ابن رشد

وبعض من أسباب نكبته ..... عجيل نعيم جابر ٣٩ـ٥٥

ـ المشهد السومري ..... أ.د. زهير صاحب ٥٦ـ٦١

ـ تحقيق النصوص ..... أ.د. عبد الحسين محمد الفتلي ٦٢ـ٧١

ـ شعر زهير بن أبي سلمى في

ـ مرويات حماد الراوية ..... أ.د. عبد اللطيف حمودي الطائي ٧٢ـ٨٠

* نصوص محققة

ـ ديوان أبي الفتح البستي

النسخة الكاملة / القسم السادس ..... شاكر العاشور ٨١ـ١٠٢

ـ متشابه القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي/

ـ القسم الاول ..... دراسة وتحقيق د. محمد حسين آل ياسين ١٠٣ـ ١٢٥

* شخصية العدد

ـ كمال ابراهيم العبيدي الأعظمي ..... أ.د. نهاد فليح حسن العاني ١٢٦ـ١٣٩

* عرض كتاب

ـ التبيان في شرح الديوان ..... عباس علي الأوسي ١٤٠ـ ١٥٥

* اخبار التراث العربي

ـ اخبار التراث العربي ..... اعداد / حسن عربيي الخالدي ١٥٦ـ١٦٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المشهد السومري

أ.د.زهير صاحب
أكاديمية الفنون الجميلة
جامعة بغداد

أوضح (هاوزر) أن أسطورة العصر الذهبي ، ترجع الى ازمان سحيقة في القدم . ولسنا ندري حقا ، ما هو التعليل الذي يقدمه علم الاجتماع لظاهرة تبجيل الماضي ، فقد تكون جذور هذه الظاهرة راجعة إلى التضامن القبلي والعائلي. أو إلى محاولة الطبقات المميزة ان تبني امتيازاتها على اساس الوراثة . وأياً كان الأمر ، فإن الشعور بأن ما هو قديم ينبغي ان يكون هو الأفضل ، لا زال من القوة ، بحيث يجعل مؤرخي الفن لا يحجمون عن تزييف التاريخ ، عندما يحاولون إثبات أن اقرب الأساليب الفنية إلى قلوبهم ، هو في الوقت ذاته، أقدمها عهداً . (هاوزر ، ص ١٣) .

وبرغم أن السومريين، المبدعين (الأوائل) في التاريخ ، قد وضعوا وبشكل أصيل مبادئ الفكر الإنساني الأولى ، وقدموا حلولاً إبداعية لإشكالاته الأساسية التي تؤرقنا حتى هذه اللحظة. فقصائدهم الشعرية ، كانت تتغنى بماض ذهبي عاشهُ الشعب السومري وقد استهلت إحدى القصائد بوصف دلمون (البحرين حالياً) أنها البلد العظيم الذي ينعم بالسلم والسعادة :

الأرض (دلمون) هي الموطن الطاهر . الأرض (دلمون) هي المحل النظيف . في (دلمون) لا ينعق الغراب الأسود . والحدأة لا تصرخ صراخ الحدأة والأسد لا يفتك .والذئب لا يفترس الحمل . ومن به صداع لا يشكو الصداع . وامرأة (دلمون) العجوز لا تشكو الشيخوخة . والمنشد لا ينتحب ، وفي أطراف المدينة لا ينطق بالرثاء .

وربما يكون قلق الشعب السومري الوجودي ، والصراعات السياسية بين دويلات المدن السومرية وتفاوت مستوى الطبقات الاجتماعية ، هي المحتوى الفكري الكامن ، في مثل هذا النوع ، من الصور الفكرية التأملية وهنا لا يستند (المكان) إلى حقيقته ، إلا بمقدار العلاقة التي يقيمها مع المتخيل أو مع اللا واقع ذلك أن مجرد الذكرى أيضا خيال وإعادة خلق . وأيا كان الحال ، فإن ذهبية المشهد السومري ، وحنين ذاكرة الماضي بالعودة إلى الماضي . ربما يكون قد غزل بنية أدبية شعبية، في المجتمع السومري ، وكانت تتداولهُ العجائز والشيوخ في الليالي المقمرة ، لقضاء الوقت الطويل ،

وإقناع النفس بما هو جميل في أوقات الجدب والأزمات .

يكتب اسم سومر بالعلامات (ki-en-gi) والدلالة العلامية للنص ، هي ارض سيد القصب . والمهيمن في دلالة الملفوظات هنا ، هو الإله (انكي) اله المياه . ومرجعيات الخطاب هي بنية البيئة السومرية ، حيث ولدت الكلمة الاولى متخفية بين غابة القصب . ويرى المرحوم طة باقر : "بأن اول النصوص الملحمية ، التي ورد فيها اسم السومريين ، كان في القاب ملوك حضارة وادي الرافدين ، وهو لقب (ملك بلاد سومر وأكد)... إذ اتخذ هذا اللقب الملك السومري (اوتو-حيكال) الذي طرد الكوتيين،وحرر البلاد منهم" (طه باقر،١٩٧٣ ،ص٥٨).

تؤسس (التاريخية) منهجها بإخضاع الفن لقوانينها، أنها دعوة الى دراسة الفن بسدلالة التاريخ وليس العكس . وهنا يجب أن يعد العصر الشبيه بالكتابي (الوركاء- جمدة نصر- ٣٥٠٠ ق . م) ليس مقدمة للحضارة السومرية فحسب ، ولكنة الوجه التكويني الاول في تطورها، والذي تبلورت خلاله اسهامات حضارية عظمى ، شاركت في تكوين جسد الحضارة السومرية . ففي هذا العصر العظيم ، اخترعت الكتابة ، وتم تداول الادب في بنية المجتمع الثقافية ، وظهر تنوع كبير في اجناس الفنون الشكيلية . والفكرة هو أن هناك حنيناً يُولد ، استثمرهُ السومريون بسرعة الصاروخ نحو الكمال والنضج .

يرى احد المؤرخين السومريين، أن كتابة (التاريخ) تعني حفظ إبداعات الإنسانية من الضياع . وذلك كشف فكري عظيم ، في جدلية كتابة التاريخ . فبالإضافة لتوثيق التاريخ بدلالة الفن ، كان لدى السومريين (إثبات) يلخص أسماء الملوك وسني حكمهم . إلا أن المؤسف ، هو أنهم لم يعلنوا نهاية عصرهم الذهبي ، الذي افترضنا بدايته تجوزاً ، ربما احزنهم ذلك ، فلو سألت أحدهم ، من الذي أقام الحضارة على ارض الرافدين ؟ لأجاب ، لا أدري، هي وجدت هكذا. ومع ذلك وتجوز أيضاً ، يمكننا أن نحدد نهاية الدور السياسي الفاعل لحكام سومر في العام (٢٣٧١ ق . م) ، حين اعتلى سرجون الاكدي عرش الحكم. ومع ذلك فإن الثراء الفكري السومري ، بصدد الكم والكيف ، لا توقفهُ حدود مصطنعة، إنهُ اقوى من أن يقف عند حدود ، فهو ملك الإنسانية وإرثها الحضاري، الذي لا زال حياً ومتحركاً حتى هذه اللحظة .

تشترط جماليات المكان في الفكر الرافدي ، مظاهر محسوسة تشير الى مواقع لها لون عاطفي ، وقد تكون مسالمة أو معادية ، مألوفة أو غريبة ، إلا أنها في جميع الأحوال ، خارج نطاق التجربة الفردية . تشعر الجماعة باستمرار بوجود احداث كونية معينة ، تضفي على المكان دلالات روحية . ومن هنا ، حافظ السومريون وبأمانة مطلقة ، على خارطة توزيع القرى الزراعية الأولى على ارض العراق من الناحية المكانية ، التي أسسها سابقوهم في عصر قبل التدوين . والمثير هنا ، هو أن السومريين ، طوروا وبفاعلية ، نظام التخطيط الحضري والإقليمي للقرية ، إلى نظام المدنية والتمدن . فقد اقترن ظهور أولى المدن بنشوء العمران الحضري (Urbanization) . ولعلنا لا نعدو الحقيقة ، اذا اكدنا القول ، إن الحضارة السومرية ، تفردت بأول ظهور لنظام

دويلة المدينة على أنه اول شكل من أشكال الحكم في التاريخ البشري . فقد نمت فكرة المواطن والمواطنة والولاء الأعظم لدويلة المدينة .

وهذه المدن كانت صغيرة إذا قيست بمدننا اليوم ، ، ولم تنقطع الصلة ، بين سكانها والأرض ، بل الأمر بالعكس ، لان معظم الآهلين يسترزقون من الحقول المحيطة بهم ، وكلهم يعبدون آلهة تمثل قوى الطبيعة ، ويساهمون جميعاً في طقوس وشعائر يحيونها عند نقاط التحول في السنة الزراعية . وعلى هذا المنوال، انتظمت حياة الجماعة ، بموجب كم متوارث من التقاليد والأعراف، التي أصبحت بعد نجاح تطبيقها مقبولة ومرغوباً فيها من قبل الجميع ، كونها استهدفت النفع العام .

بلغ محيط مدينة الوركاء_ عاصمة البطل كلكامش ـ زهاء تسعة كيلومترات، ومساحتها تجاوزت ستة كيلومترات . وعدد سكانها تجاوز مئة ألف نسمة . وقد نُظّمت المدينة حضرياً، لتشمل ثلاثة مراكز رئيسة ، أهمها حارة المعابد في مركز المدينة ، ويلتف حول مقترباتها الأراضي الزراعية الخصبة ، التي ترويها أعداد كبيرة من القنوات المائية الإروائية الضخمة ، أما القسم الثالث ، فيشمل ميناء المدينة ، حيث تنتظم الفعاليات التجارية. وهي بذلك تشبه التخطيط الحضري لأي مدينة عراقية لعهد قريب .

ولنا أن نتصور التخطيط الحضري لدويلة المدينة السومرية ، حيث تُقسّم مساحتها ، عدد من الشوارع الفسيحة ، وقد بُلطت ارضياتها ورصفت بخليط من الرمل والحصى الناعم ، الذي اكتسب صلابته مع مرور الزمن ، ليكون مناسباً لسير العربات السريعة ، ذات العجلات الخشبية ، وقد توزعت بانتظام على جانبيها عدد من الحارات السكنية ، حيث نموذج البيت السومري المشيد (باللبن)، وتتوسطه ساحة فسيحة مكشوفة ، تتوزع حولها غرف السكن . وأجمل أجزاء المدينة السومرية كان ميناؤها ، حيث تتجمع السفن بأشرعتها الملونة ، وتتلاقح الثقافات ويهمنا هنا أن نحضر قصيدة شعرية سومرية تصف جمالية المدن السومرية وعلى الأخص مدينة (نُفَر)

انظر تَماسك السماء والأرض (المدينة) ، انظر الجدار الجيد (المدينة)، انظر (إيدسالاّ) نهرها الصافي ، انظر (كراكرونّا) مرفأها الذي ترسو عليه السفن، انظر (بولال) بئر مائها العذب ، انظر (ادندودو) قناتها النقية، انظر (انليل) رجلها الشاب ، انظر (ننليل) عذراءها الفتية .

وفي ملحمة كلكامش الخالدة ، يرد نص يصف بشاعرية جميلة ، جمالية دويلة المدينة السومرية:

أنظر يا أنكيدو سور الوركاء الخارجي ، تجد أفاريزه تألق كالنحاس ، أجل يا انكيدو تعال الى اوروك المحصنة. حيث يلبس الناس أحلى الحلل ، وفي كل يوم تقام الأفراح في أسواقها كالعيد.

وفي بلاد سومر نشأت اول أنظمة الديمقراطية في العالم . ففي دويلة المدينة، كانت السلطة السياسية العليا في يد مجلس عام يشترك فيه جميع الأحرار البالغين. وفي الأوقات الاعتيادية كانت شؤون الحياة اليومية تصرف بإرشاد مجلس الشيوخ . أما في الأزمات ، فكان بوسع المجلس العام ، بأن يخول أحد أعضائه السلطة

المطلقة فيصبح حاكماً ، وكان هذا يحدث في زمن محدد يزول بزوال الأزمات (جاكوبسن ، ص(١٤٩)

وحين عزم كلكامش وصديقه أنكيدو القيام بسفرهم البعيد ، لقتل (خمبابا) حارس غابة الأرز ، خاطب مجلس الشيوخ في مدينة الوركاء قائلاً:

اسمعوا يا شيب (شيوخ) أوروك ذات الأسواق ، أريد أنا كلكامش أن أرى من يتحدثون عنه ، ذلك الذي ملأ اسمه البلدان بالرعب ، عزمت على أن أغلبه في غابات الأرز ، وسأسمع البلاد بأنباء ابن أوروك ، فتقولون عني : ما أشجع سليل أوروك وما أقواه.

ثم خاطب شيوخ أوروك كلكامش وقالوا له :

عسى أن ينصرك إلهك الحامي ، وعسى أن يرجعك سالماً في طريق عودتك الى بلدك ، ويعيدك سالماً الى ميناء (أوروك) .

يوصف الاقتصاد السومري في كثير من الأحيان ، بأنه كان اقتصاداً زراعياً. إلا أنه كان يقوم من ناحية أخرى على الصناعة ، ذلك أن القوانين التشريعية السومرية ، كانت قد قدمت وصفاً للعديد من الصناعات والحرف اليدوية، كأعمال الصياغة والتطعيم والطرق على النحاس وإنجاز الأسلحة الحديدية والذهبية ، وإبداع العديد من الانية الذهبية بأساليب الصب المتنوعه . ويؤيد ذلك مخاطبة عشتار كلكامش بعد عودته منتصراً من مغامرته في غابات الأرز :

ستكون انت زوجي واكون زوجتك ، سأعد لك مركبة من حجر اللازورد والذهب ، عجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز ، وستربط لجرها (شياطين الصاعقة) بدلاً من البغال الضخمة.

ومن موانئ المدن السومرية اور والوركاء ونفر ، تحركت السفن الشراعية، محملة بالتمور والحنطة ، نحو دلمون (البحرين) ومكان (عُمان) حتى الهند لجلب الذهب والنحاس والأحجار الكريمة الملونة مقايضة بما تحمله من بضائع ومواد غذائية . وفي الوقت ذاته، ، انطلقت العربات السريعة وقوافل الأفراد نحو أفغانستان وجنوب تركيا وإيران لإحضار ما تتطلبه المعتقدات الفكرية المرتبطة بما بعد الموت ، وما تحتاج إليه ابنية المعابد وكذلك أعمال الفنون التشكيلية من خامات ومواد ذات بريق سحري ، لعلها تجد حلاً لإشكالات الفكر السومري الذي أعياه القلق الوجودي . ولعل ظهور بعض الأختام الأسطوانية السومرية في تلك الأماكن النائية ، يمكن أن يجد تعليله بهذا النوع من الاتصالات التجارية.

هو الذي رأى كل شيء ، فغني بذكره يا بلادي ، هو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها ، وهو الحكيم العارف بكل شيء . مَطلعُ ملحمة كلكامش ، الذي يشفر بصفته نظاما من نسق العلامات في قراءته الأفقية ، عن بنية الفكر السومري (الأبستمولوجية) واهتمامه بالمعرفة. شعب أوجد نظام الكتابة الأيقونية ، ثم اختزلها إلى رموز معرفية ، وأوصلها إلى نظامها الصوتي المقطعي . حيث ترتبط دلالة الصوت كبنية (دال) ، بمفاهيم معرفية ذهنية في تركيب مفردات الحضارة قيمة مدلول.

شعب سومر أوجد نظام السلم الموسيقي ، واحتفل بتعظيم (الإله) في أول مراحل الفلسفة المثالية . إنسانية الفكر السومري وضعت الإنسان أعظم قيمة في الوجود .

حين دون أعظم مشـــرعيه : جئت لأخلص الضعيف من القوي ولن ادع أحداً ينام وهو جائع . هذا الإبداع الفكري الأصيل والكشف الإبداعي ، شـــكل الجوهر في بـــنائية الفكر في سومر العظيمة لكونه تعبـــيراً جاداً عن الزمان والمكان، وهو صورة لروح وثقافة المجتمع ، فانبـــعثت شرارة الوعي انعكاساً لهذه الفاعلية ، بفعل إدراك فكري ذي بنية اجتماعية وروحية.

إن أول مدرسة في العالم ، كانت قـــد أسســـت على أرض ســـومر في بـــــلاد ما بـــــين النهرين . إذ عرف السومريون الكتابة أول مرة في التاريخ . فقد اكتشف ما يقرب ألف لوح طيني، يحـــمل بـــعضها نصوصاً تمارين مدرسية ، فقد كان التفكير منصبـــاً في طرق التدريس . وأن عدد الذين مارســـوا فن الكتابـــة حـــينذاك يزيد عن الآلاف . ومنهم من كان كاتبـــــاً من الدرجة الأولى ، والآخرون مســـــــاعدين ، ويصنفون على أنهم كتاب حكوميون أو دينيون ، وكان بينهم اقتصاديون وإداريون وموظفون بارزون في الدولة.

واكتشفت (ألواح) تحمل تمارين مكتوبـــة من قبـــل الطلاب أنفســـهم ، وهي جزء من واجبـــاتهم اليومية ، وكانت تتراوح بين كتابة المبتدئين والذين أوشكوا على التخرج. وكانت أهداف المدرسة السومرية في البداية ، تقـــــــتصر على تعلم اللغة وتدريب موظفين للإدارة والاقتصاد ، يعملون في دواوين الدولة والمعابد . وقـــد تطورت أهداف المدارس وأصبحت مراكز للعلم والثقافة. وتخرج منها العلماء والباحثون الذين درســـوا مختلف فروع المعرفة كاللاهوت وعلم اللغة والنبات والحـــيوان والجغرافية والتعدين والرياضيات .

وكان مدير المدرسة يدعى (أبا المدرسة) والطالب (ابن المدرسة) أما المدرس فهو الأخ الكبير ، وواجبـــه كتابة الواح جديدة ، كي ينسخها الطلاب ، وتصحـــيح ما نسخوه ، وسماع ما حفظوه من واجبات الأمس . وتضم المدرســـة أعضاء آخرين ، كالمســـؤول عن الرســـم ، والمســـؤول عن الســـومريات ، ومراقـــب الحـــضور ، والمسؤول عن حفظ النظام وغيرهم .

وتفصح الكتابات السومرية ،أن الحرية ضمن حدود القانون ، كانت هي الطريقة المثلى المتبعة في المجتمع السومري . ومن المحتم ان تبدو الطاعة ، في حـــضارة ترى الكون كله على صورة دولة ، فضيلة عظمـــى . لأن الدولة مبنية على (الطاعة) والخضوع للســـلطة . فقـــد كانت الحياة الفاضلة السومرية هي الحـــياة (المطيعة) ، حـــيث يقـــف الفرد في المركز من دوائر متلاحقـــة من السلطة تنظم حرية عمله ونشاطه . وكانت أقرب وأصغر هذه الدوائر تتألف من السلطات التي ضمن أسرته : أبيه وأمه ، أخيه الأكبر وأخته الكبـــرى . وبحـــوزتنا نشـــيد يصف عصراً قادماً ، يتميز بـــكونه عصر الطاعة : يوم يحجم المرء عن السفاهة بإزاء غيره ، ويكرم الابن أباه ، يوم يبين الاحترام جلياً في البلاد ، ويبجل صغير القـــدر الكبير ، يوم يحترم الأخ الصغير أخاه الأكبـــر ، ويرشـــد الولد الأكبر الولد الأصغر ويتمسك (الأخير) بقراراته.

ولعل في اكتشاف الكتابة ، وتأسيس اول مدرسة ، ووضع أنظمة التخطيط الحضري والأقـــليمي ، وعدالة القوانين التشريعية ، وحرية الأفراد ضمن حدود النظام ،

وأنسنة الاسطورة والملحمة ، ولبنات الديمقراطية الأولى ، وملامح فكرة الحياة الفاضلة . هي فضيلة العقلية السومرية المبدعة ، التي لا زالت (كونية) لا تحدها حدود زمانية أو مكانية

أشكال المشهد السومري

الهوامش والمصادر

١. باقر ، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٧٣.

٢.جاكوبسن ، ثوركيلد . ارض الرافدين ، في ما قبل الفلسفة ، تاليف هنري فرانكفورت واخرون ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بيروت ، ١٩٨٠.

٣.هاوزر ، ارنولد . الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة فؤاد زكريا ، بيروت ، ١٩٨١.

أشكال المشهد السومري